



## حكم مناطق المدن الكبرى في المكسيك: من النظرية إلى الممارسة

بوريس غريزبورد Boris Graizbord

مهما كان الحجم الجغرافي أو الديموغرافي أو الاقتصادي لمناطق المدن الكبرى في المكسيك، فإن البلديات فيها تركز جهودها على هدفين رئيسيين: بناء بيئة اقتصادية تنافسية وقوية؛ وتحسين مستوى رضاء سكانها من خلال تزويدهم بالخدمات. فهي تعمل على توسيع الفرص الاقتصادية للنمو وتحسين قدرتهم على إيجاد إيرادات مباشرة من أجل ضبط ضغوط النمو الحضري والتفاعل مع حاجات المواطنين من خلال إنشاء وتعزيز آليات الرد من جانب الولاية. وفي الحقيقة، وفي ظل انتقال البلد إلى الحكم الديمقراطي الكامل، ثمة إدراك بأن المواطنين يميلون إلى وضع ثقتهم في السلطات المحلية بدلا من وضعها في الولاية أو البيروقراطية الفدرالية.

لقد تمتعت البلديات، التي اعترف بها دستور ١٩١٧ المكسيكي على أنها الوحدة الإقليمية الأساسية للحكومة، دائما بدور ثقافي وسياسي استراتيجي لتلعبه، بالرغم من ضعفها المالي. وتضم البلديات حاليا في مناطق المدن الكبرى أكثر من ٥٠ في المائة من مجموع السكان الكلي و يتركز فيها تقريبا ٨٠ في المائة من إجمالي

وفي ظل انتقال البلد إلى الحكم الديمقراطي الكامل، ثمة إدراك بأن المواطنين يميلون إلى وضع ثقتهم في السلطات المحلية بدلاً من وضعها في الولاية أو البيروقراطية الفدرالية.

الدخل المحلي للبلد. لكن السلطات المحلية في مناطق المدن الكبرى الحضرية تواجه عدة تحديات. إذ أنها تميل إلى لعب دور ثانوي في عملية صنع القرار على مستوى الولاية وفي المنطقة الحضرية. كما أن قدرتهم الإقتراضية محدودة جداً، لأن مصادر دخلهم الرئيسية هي تحويلات فدرالية مشروطة في مضمون يغلب عليه اللامركزية في الإنفاق العام في حين يستمر تحصيل الضرائب متمركزاً في الأيدي الفدرالية. وفي أثناء ذلك، تنفقر البلديات إلى القدرة الإدارية الكافية لحشد اللاعبين الأساسيين ضمن سلطتهم القانونية وضبط النمو الحضري في سياق

"ثقافة مخالفة القوانين" التي تهدد أي محاولة لتخطيط أو عملية صنع قرار تشارك فيه أطراف مختلفة. أخيراً وليس آخراً، يجب أن تعتنى البلديات بالسكان الفقراء الذين تنزايد أعدادهم في المدن الكبرى في أحياء غير منتظمة، والعاجزين عن دفع تكاليف طلباتهم المتزايدة للخدمات العامة.

تترك التحولات العالمية أثراً كبيراً على مناطق المدن الكبرى، الأمر الذي يفرض على السلطات المحلية أن تواجه قضايا تقع خارج نطاق حدودهم وحاجات مواطنهم الأساسية المباشرة. لكن هناك بعض "الممارسات الحسنة" التي يمكن ملاحظتها، بالرغم من عدم وجود إطار قانوني لاستيعاب التعاون الممكن بين البلديات. لقد أدت الجهود المؤسسية من جانب المستويات الثلاثة من الحكم، بموجب المادة ١١٥ من الدستور المكسيكي، التي تفرض على البلديات تقديم الخدمات العامة، إلى إقامة هيئات تنسيق لمناطق المدن الكبرى، ذات الغرض الواحد والأغراض المتعددة. وأحد الأمثلة على ذلك هو مفوضية منطقة مدينة مكسيكو الكبرى في العقدين الماضيين. وعلى المستوى البلدي، تتجاوب كل من ليون Leon وسيلاو Silao، وهما مدينتان متوسطتان في المنطقة الغربية الوسطى الحيوية من البلاد، مع ضغوط النمو الصناعي والحضري من خلال المبادرات التعاونية بين بلدياتهم. وفي مثال آخر، تبذل البلديات في ولايتين مختلفتين في منطقة لاجونا La Laguna الحضرية الكبرى جهوداً لتعزيز اقتصاد تنافسي كبير رداً على قطاع ماكولادورا Maquiladora الراكد، وذلك استناداً لجهود رؤساء البلديات الحساسين والواعين سياسياً.

وفي ضوء هذه الأمثلة وغيرها، نجد أن ثمة اهتماماً متزايداً في إنشاء هيئات جديدة للمدن الكبرى للتنسيق وتعزيز الهيئات القائمة، وهذا يبدو ضمناً في مبدأ

"التطوير المشترك بين البلديات" المقترح من قبل المسؤولين الفدراليين الجدد المسؤولين عن النمو الحضري. ولكن لا بد من ابتكار الترتيبات المؤسساتية لإدارة وتنظيم المدن الكبيرة. ما هي الخيارات المتوفرة؟ نظريا، كل بلدية يمكن أن تقرر كمية ونوع السلع والخدمات التي توفرها، وتدع كل وحدة سكنية "تصوت بأقدامها" إن جاز التعبير. كما يمكن للسلطة في المدن الكبرى أن تقضي على الفوارق ضمن منطقة المدينة الكبرى بالكامل. سيؤدي كل من هذين الحلين إلى تحديات عملية. والسؤال الذي يجب أن يطرح هو: كيف يمكن تحقيق اهتمام بتطوير مناطق تنافسية للمدن الكبرى وفي نفس الوقت تحقيق توزيع الخدمات لسكان المدينة بشكل عادل وفعال؟

هناك اعتراف عام بأنه لا يوجد نموذج حكم فريد متوفر يمكن تطبيقه في جميع مناطق المدن الكبرى في البلد، لكن هناك دور لوحدة حكومية أكبر حجما في مجال ضبط تلوث الهواء، والمصادر المائية ونظام الصرف الصحي، ومنشآت النقل والمواصلات الجماهيرية، وإعادة توزيع الدخل من أجل تحسين القدرات المالية للمجتمعات ذات الدخل المنخفض. ومع ذلك، هناك أيضا الكثيرون الذين يدافعون عن ميزات وجود مجموعة مختلفة من الحكومات المحلية بدلا من حكومة مركزية، حضرية بيروقراطية تسيطر على المنطقة الحضرية بأكملها. إنهم يعتقدون أنه إذا كان كل مستوى من مستويات الحكومة مستقلا في مجال اختصاصه، فإن هذا سيوفر مساحة لممارسة السياسة وبتيح الفرصة للتعاون بدلا من التنافس. وتبدو اللامركزية، باعتبارها عدداً من الحكومات المحلية المتزامنة في منطقة مدينة كبرى واحدة، على أنها أيضا هيكلية ناجحة وفعالة لتوفير تشكيلة أكبر من الخدمات وإرضاء حاجات المستهلكين المتنوعة وطلبات السوق المختلفة.

إن توحيد المقاييس وبعده الهيئات الإدارية، في بيئة معقدة وغير مؤكدة، مثل منطقة مدينة مكسيكو الكبرى مع سكانها الذين يصل عددهم إلى ٢٠ مليون نسمة، والثلاثة مناطق الحضرية الكبرى الأخرى في المكسيك بكثافة سكانية تصل إلى ٥ ملايين نسمة، يمكن أن تسبب ممارسات غير ناجحة وتترك بعض المناطق والمجموعات السكانية بمستويات خدمة غير ملائمة بينما تتوفر لأخرين خدمات لا يستطيعون استخدامها. سيقول البعض أن هناك دائما فرصة لسلطة محلية أن تلعب دور "الراكب الحر" أو اللامسئول وأن تمتنع عن توفير "الرخاء للفقير" كخدمة عامة. ولكن الآخرين يعترفون أن بعض الخدمات يمكن تقديمها بكفاءة أكثر من خلال الاستفادة من المجال الأوسع للمنظمة المركزية. وبالإضافة لذلك، فإن السلطات المحلية تكون دائما في حالة استجابة لضغوط الطلب ونادرا ما تكون فعالة في تعزيز التطور أو مدركة لمقاييس النوعية، بسبب شح الموارد البشرية

والإدارية والمالية المتوفرة لها. لذا، هل من الممكن أن يكون الجميع أفضل حالاً في ظل نظام مركزي؟

فيما يخص الفدرالية الإدارية، فإن البديل لتوزيع مركزي تماماً للسلطات أو توزيع غير مركزي، وبالتالي السؤال حول عدد المواطنين وأبهم الذين يجب أن يكونوا في تجمع واحد من أجل تزويدهم بخدمة جماعية واحدة، لم يتم بعد الإجابة عنه في المكسيك. وستكون هناك حاجة لإطار قانوني لتقسيم المسؤوليات وظيفياً ولتطبيق مبدأ المشاركة في القرار بفاعلية: ويمكن أن تتبنى الحكومة المركزية التشريع، بينما تصبح حكومات المستوى الأدنى هي الهيئات الإدارية لتزويد الخدمات.

لكن يبدو أن الحكومات المحلية في المكسيك تواجه عبئاً إضافياً. فالاهتمام الجديد في تأثير تغيير المناخ والدور النشط الذي تريد الحكومة الفدرالية المكسيكية أن تلعبه في تلك المسألة يستدعي ربما بذل مجهود لبناء وعي بأن القضايا البيئية تكون عادة متقاطعة ومتكاملة من الناحية الإقليمية، وبهذا تشمل ليس فقط المستويات القومية والعالمية بل تصل أيضاً إلى المستوى المحلي.